

الدرس الثامن: كتاب "البديع" لابن معتر

إن الصياغة الشعرية الجديدة التي جاء بها شعراء البديع أمثال بشار بن برد، ومسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي تمام أصبحت مشكلة فنية لدى النقاد، فظهر نقاد عالجوا القضية ومنهم عبد الله بن المعتر العباسي، من خلال كتابه "البديع".

1. نبذة عن الكاتب

هو أبو العباس عبد الله بن المعتر بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد في سامرا سنة 247هـ كنيته أبو العباس، أبوه خليفة وجدته خليفة، أما هو فالأمير التعس الذي لم يحكم سوى يوم وليلة، كان شاعرا، وناقدا، وبلاغيا، تلقى مختلف أصناف العلوم على أيدي جلة من علماء عصره منهم: المبرد، وأبو عباس ثعلب... وغيرهم، توفي 296هـ، مات مقتولا وعمره 48 سنة.

من مؤلفاته:

- أ. طبقات الشعراء
- ب. فصول التماثيل في تباشير السرور
- ت. الجامع في الغناء

2. نبذة عن الكتاب

ألف ابن المعتر كتابه "البديع" قبل موته بعشرين سنة، والذي يعد أحد أشهر وأول مؤلفات الأدب العربي في مجال البلاغة. وكان سبب تأليفه هي محاولته الرد على جماعة المحدثين، الذين ادعوا أن البديع في الشعر من عندهم، ولم يكن معروفا عند المتقدمين، وهو الأمر الذي ظهر في قوله: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقلبهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه".

عنونه الكاتب "البديع" لا يعني أنه اهتم بعلم البديع فقط من جناس وطباق وتورية... وغيرها وإنما الكتاب شامل لعلم البديع والبيان والمعاني، قسم كتابه إلى قسمين: القسم الأول: أبواب البديع، والقسم الثاني محاسن الكلام. وقد اقتصر على خمسة فنون وهي: الاستعارة، الجناس، المطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي.

3. أهم القضايا في الكتاب

1. عالج ابن المعتر في كتابه قضية "البديع"، الذي ظهر لأول مرة عنوانا في المؤلفات البلاغية والنقدية، رغم أن هذا الأخير لم يقصد به ذلك العلم الذي استقر في تقسيمات علوم البلاغة الثلاثة عند المتأخرين.

أ. تعريف البديع

لغة: بدع الشيء يبدعه وابتدعه، بمعنى أنشأه وبدأه، بعد أن لم يكن معروفا.

اصطلاحا: هو العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام.

أما البديع الذي قصده ابن المعتر، هي صفات الحسن وعناصر الجمال الفني، والألوان الساحرة في الأسلوب، من استعارة، وتجنيس، ومطابقة، ورد الأعجاز على الصدور، والمذهب

الكلامي، فأراد أن يجمع الفنون البلاغية التي أبدع فيها الشعراء المحدثون، وأفرطوا في الصناعة الشعرية، أمثال بشار ومسلما وأبو نواس.

فصنف ابن المعتز أهل البديع في زمانه إلى مرحلتين: مرحلة الكثرة في البديع مع الميل إلى الطبع، ويمثلها: بشار بن برد، ومسلم، وأبا نواس. ومرحلة الإكثار إلى درجة الإسراف مع الميل إلى التصنع والتكلف والشغف به. ومثلها: أبو تمام.

ب. أهمية البديع

يعد البديع من أهم الفنون البلاغية تكمن أهميته في:

1. إبراز الجمال الفني
2. إيصال المعاني بطرق مبتكرة
3. إظهار براعة الكاتب
4. إغناء اللغة

4. الكتاب في ميزان النقد

ما يعاب على الكتاب:

- أ. أن ابن المعتز لم يكن يعلق على الشواهد التي يوردها.
- ب. لم يسر ابن المعتز على منهج واحد في القسم الأول والثاني من كتابه.

في الأخير يمكن القول رغم صغر حجم كتاب "البديع" لابن معتز، إلا أنه محاولة فريدة إلى إرساء أصول البلاغة على أسس عربية صحيحة، رغم أن البديع عند ابن المعتز جاء عاما وشاملا كل فنون الصنعة والجمال الفني: كالجناس والطباق والتشبيه والاستعارة... وغيرها، إلا أنه أثر في المؤلفات التي جاءت بعده، فقال فيه خفاجي أن ابن معتز علم من أعلام النقد الممتازين في عصره، وهو رفيع المكانة، عظيم المنزلة في هذا الفن، بل هو أعظم نقاد عصره أثارا، وأكثرهم عناية، بالبحث في النقد والتأليف.